

أثر القناعة في السعادة

قطعة

من:

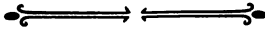
شرح رسالة

الرسائل المفيدة للحياة السعيدة

للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد



فالمؤمن إذا ابتلي بمرض، أو فقر، أو نحوه من الأعراض التي كلُّ أحدٍ عرضةٌ لها فإنه بإيمانه، وبما عنده من القناعة، والرضا بما قسم الله له، تجده قريير العين، لا يتطلب بقلبه أمراً لم يُقدَّر له^(١)؛
ينظر إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه^(٢).

(١) قوله: «فالمؤمن» إلى قوله: «لم يُقدَّر له»: يشير بذلك إلى أن المؤمن معرض للبلاء كغيره من البشر، ولكنه بسبب ما عنده من الإيمان، وغنى القلب، والرضا بما قُسم له من الرزق - لا يستشرف بقلبه، ولا بلسانه إلى ما لم يُقدَّر له من سائر المحبوبات؛ فتقر عينه، ويفرح فؤاده، ويقل همه، أو يتلاشى.

وقوله: «قريير العين»: مأخوذ من قولهم: «قُرَّةُ عَيْنٍ»، أو «قَرَّتْ عَيْنُ فلانٍ». وقرة العين: هي السرور الحاصل في النفس؛ لما يسرها مع تحقق الرضا التام، وترك التطلع إلى ما سوى المحبوب الحاصل.
وقرة العين لا تكون إلا بالمطلوب العالي أو الأعلى.
والعرب إذا دعت لأحد قالت: «قَرَّتْ عَيْنُهُ».
يعني سكنت، وبردت؛ إذ دمع الفرح بارد.
وإذا دعت على أحد قالت: «سَخِنَتْ عَيْنُهُ» أو: «أَسَخَنَ اللهُ عَيْنَهُ» يعني أحزنه الله؛ إذ دمع الحزن حار.

(٢) قوله: «ينظر إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه»: أي ينظر إلى من دونه في سائر أمور الدنيا؛ لينبث إلى الشكر، ولا يغبط من هو أعلى منه في سائر أمور الدنيا؛ فيزدري نعمة الله عليه.
وسياتي الكلام على هذا المعنى مفصلاً في فقرة آتية.